المحاضرة الرابعة حول:

الأوضاع الثقافية لمقرات الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني

01/- الأوضاع الثقافية في الجزائر العاصمة خلال الحكم العثماني:

شهدت الجزائر العاصمة حركة علمية نشطة قائمة على دراسة العلوم الدينية خاصة، وقد قدر عدد مساجد العاصمة بنحو مائة (100) مسجدا منها سبعة(07) مساجد كبيرة.

وغالبا ما كانت المكتبات تلحق بالمساجد لكي يستفيد منها الطلبة والقراء والأساتذة، وكانت تشتمل على الكتب الدينية مع وجود كتب أخرى في الطب والتاريخ والرياضيات، وقد كانت تلحق بهذه المساجد الكتاتيب لتحفيظ القرآن والزوايا لمبيت الطلبة والميضات والعيون للطهارة والإستحمام.

02/- الأوضاع الثقافية في تلمسان خلال الحكم العثماني:

لم تكن تلمسان تختلف عن الجزائر العاصمة على هذا الصعيد، فتلمسان قد كانت قاعدة ثقافية كبيرة؛ نظرا لما أنشئ فيها من مدارس سواء من قبل بني زيان أو بني مرين أثناء إحتلالهم للمدينة، ومن بين هذه المدارس:

- مدرسة العباد.
- الجامع الأعظم.
- المدرسة اليعقوبية.
- المدرسة التاشفينية.

إضافة إلى عدد كبير من المساجد والزوايا والكتاتيب المنتشرة في كل مكان.

وقد ساهمت هذه المدارس في نشر العلم وبروز الكثير من العلماء في هذه الفترة، وظهرت عائلات أشتهرت كعائلة :" **العقباني**" وعائلة:" **المقري**" وغيرها.

ومن أبرز علماء تلمسان:

- أحمد المقري، صاحب كتاب :" **نفخ الطيب**" الذي هاجر من تلمسان للظروف الصعبة التي ذكرناها سابقا، متوجها إلى المغرب الأقصى، حيث تولى الإمامة والخطابة والفتوى بجامع القرويين بفاس عام1022هجري، وقد إشتهر بموقفه الرافض للفتاوي التي لا تخدم الدين الإسلامي، وقد هاجر بعدها إلى كل من تونس ومصر والحجاز.

وقد كان المقري على إتصال مع كل من : سعيد قدورة مفتي الجزائر، وعالم قسنطينة أنذاك عبد الكريم الفكون الحفيد.

03/- الأوضاع الثقافية في قسنطينة خلال الحكم العثماني:

إكتسبت قسنطينة شهرة واسعة في المجال الفكري منذ العهد الحفصي فقد ذكر إبن القنفد أن الأمراء كانوا يقدرون العائلات العريقة والعلماء ووجهاء القوم ويحترمونهم، كما كانوا يفضلون الإقامة في قسنطينة دون غيرها ويتقربون إلى السكان لدرجة أنهم كانوا يعرفونهم بالاسم والشكل.

وقد إكتسب قسنطينة أهميتها نظرا لعدة عوامل أهمها:

- قسنطينة تعتبر مدينة داخلية.
- قسنطينة تعتبر مدينة محصنة طبيعيا.

- قسنطينة تعتبر مدينة بعيدة عن غارات العدو البحرية؛ والتي تميزت بها هذه الفترة التاريخية.
- قسنطينة تعتبر مدينة تتميز ببعدها عن العاصمة.
- قسنطينة تعتبر مدينة كان حكامها شبه مستقلين عن السلطة المركزية.
- قسنطينة تعتبر مدينة تتميز بقربها من تونس.

فقد كان التبادل الثقافي بين قسنطينة وتونس على أحسن حال، ويخبرنا الوزير السراج عن عاشور بن موسى الفكيرين الذي مكث بقسنطينة مدة ثم إرتحل منها لمظلمة أصابته ولم قدم تونس تحقق أنها تجير قاصديها وتؤنسه، فسكن بها ودرس بجامعها الأعظم الزيتونة، كما أخبرنا الوزير عن الجد يحي الفكون الذي إنتقل لتونس وصاهر :"**الشيخ الزنديوي**" واستخلفه إمامة جامعها الأعظم؛ أي أن تونس كانت بالنسبة إلى الجزائر مورد إشعاع علمي وثقافي فقصده الكثير من الجزائريين لطلب العلم والتعلم لفترات طويلة من أنحاء التراب الوطني الجزائري وخاصة الشرق.

وبذلك فقد لعبت قسنطينة دورا كبيرا في نشر العلم ووفرت الزوايا كمركز يستقر بها طلبة العلم المغتربين والقادمون من خارج المدينة، ون أبرز المساجد :

- ❖ المسجد الكبير الموجود ببطحاء السويقة؛ والذي ذكر الفكون أن هذا المسجد ألحقت به مكتبة.
- ❖ مسجد سيدي أبي العباس قرب رحبة الجمال.

- ❖ مسجد الشيخ عبد الهادي.
- ❖ مسجد سيدي علي بن مخلوف.

بالإضافة إلى أن هناك العديد من المساجد والزوايا والكتاتيب والمكتبات التي أنشئت للمساهمة في نشر العلم؛ والتي أعطت لقسنطينة وإلى يومنا هذا مكانة علمية وثقافية لا يمكن مقارنتها مع باقي الولايات.

ومن خلال من سبق تناوله عن الأوضاع الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، أن الحياة الثقافية تميزت في هذه الفترة بالطابع الإسلامي، التي لعبت دورا كبيرا للنجاح في تحقيق الربط المحكم والتين بين مختلف أصناف السكان.

فكانت الثقافة الإسلامية تعمل وتهدف إلى صهر السكان حتى يشعروا بإنتمائهم لبلد واحد وأمة واحدة، وعندما نتحدث عن الطابع الإسلامي للثقافة؛ فليس المقصود هو المحتوى الديني لهذه الثقافة فقط، ولكن المقصود هو المحتوى الحضاري بما فيه من تعليم وتنظيم ثقافي وقضائي وعلاقات اجتماعية وفكرية.

وقد شهد عدة فرنسيين شاهدوا الجزائر في فترة الإحتلال بأن الأمية كانت منعدمة تقريبا في الجزائر وأن سكان الجزائر يكونون أكثر ثقافة من سكان فرنسا، فكل الناس يعرفون القراءة والحساب، كما يقول :"روزي" وقد أكد هذه الفكرة " السان ايسر هازي" الذي يرى أن نسبة الأمية في الجزائر كانت في 1830م أقل منها في فرنسا وإنطبق هذا الكلام على سكان العاصمة؛ إذ يصعب التسليم بأن التعليم كان منتشرا في الريف بنفس النسبة؛ لأن الزوايا قد لعبت دورا كبير في نشر الثقافة في الأرياف.

قائمة المراجع المعتمدة في المحاضرة:

01/- الحفناوي،(1985)، تعريف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، مكتبة العقبة، الطبعة الثانية، بيروت لبنان.

02/- أبو القاسم سعدالله،(1998)، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هجري، الطبعة 01، الجزء الثاني، دار العرب الاسلامي، بيروت، لبنان.

03/- بن مريم التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، ب س.

04/- ابي العباس أحمد المقري،(2004)، رحلة القري إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن محمد معمر، مكتبة الرشاد للطباع والنشر والتوزيع، الجزائر.

05/- ابن القنفد القسنطيني،(1968)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، الدار التونسية للنشرتونس.

06/- أبو القاسم سعدالله،(1998)، تاريخ الجزائر الثقافي، الطبعة 01، الجزء الأول، دار العرب الاسلامي، بيروت، لبنان.

07/- الوزير السراج، الحلل السندسية، الطبعة الأولى، مطبعة الدولة التونسية، تونس.

08/- أبو القاسم سعدالله،(1998)، تاريخ الجزائر الثقافي، الطبعة 03، الجزء الثالث، دار العرب الاسلامي، بيروت، لبنان.